

قراءة نقدية لكتاب جغرافية الخدمات: الأسس النظرية والدراسات التطبيقية*

بقلم أ. د. جهاد محمد قربة*

في خضم الكتب الجارحة التي تقوم على أعمال الآخر واستلال غير شرعي للمعلومة من مصادرها؛ وتعكس في نفس الوقت عدم قدرة المؤلف في صياغة وإعداد وترتيب المعلومات لتقديم مادة علمية تساعد الباحث العربي، تأتي أعمال كل من أ.د. أحمد الشريعي والدكتورة مرفت أحمد خلاف، لتعيد الثقة بالمؤلف العربي وبقدرته على تقديم كتاب مرجعي قيم مبني على خبرات طويلة في تدريس موضوع جغرافيه مهم هو (جغرافية الخدمات) لتؤكد وتبرهن على إمكانية التغلب على التبعية العلمية وعلى وجود شخصية علمية عربية عن طريق تقديم موضوعات أصيلة تعكس فكرا جغرافيا غير هين في موضوع تكاد تكون المؤلفات العربية به تعد على أصابع اليد الواحدة. ولم تأت مقدمة الكتاب لتُهدر من قبل المؤلف لتقديم كتابه؛ بل قامت على تفصيل التطور المنهجي Epistemology لعلم جغرافية الخدمات وأهميته المتراكمة مع التطور الحضري منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، ودراسة التطورات المنهجية لأي علم يعد من أعمال فلسفة العلوم، وهو ليس من الأعمال الهينة التي تمكن منها المؤلف ببراعة. ويأتي كتاب الزميلين في ثمانية فصول ممتدة في ٢٥٧ صفحة في طبعته الأولى واستطاعت دار النشر الدولي، الرياض، أن تخرج هذا الكتاب بشكل جيد يرضي القارئ، كما استطاع المؤلف تقديم أشكاله وجداوله في الكتاب بأسلوب عصري دقيق ومتناغم مع أهداف الكتاب.

وتتسم لغة الكتاب بالوضوح وباستخدام المصطلحات والتعابير العلمية الخاصة بجغرافية الخدمات لتؤكد أن العلم هو لغة جيدة الاستخدام كما يعكس هذا الكتاب الأفكار العلمية الأصيلة البعيدة عن الانصياع والاستلال^١ ومقصص كليبواترا^٢ فلا مكان في هذا الكتاب العلمي إلا للأصالة والوضوح. في تناوله أهم الموضوعات العلمية في جغرافية الخدمات.

وعرض هذا الموضوع يعكس الرؤية العربية وقدرة المؤلف الجغرافي العربي على الأصالة في تقديمه للمعلومة، ويلاحظ القارئ تناول تصنيف الخدمات ومعاييرها التخطيطية في الفصل الثالث وكيف أن باقي الفصول في هذا الكتاب جاءت بطريقة ذكية لخدمة هذا الفصل والتمهيد له واستكمالها في الفصول اللاحقة، التي تناولت خصائص الحضر ونظريات استخدام الأراضي في الفصل الرابع، والتراتب الحجمي للخدمات ومناطق النفوذ في الفصل الخامس، وأخيرا الاختلافات الإقليمية للحضر والريفية وتباين كثافة الخدمات في الفصل السادس. ويدرك المتخصص في جغرافية الخدمات أهمية تناول هذه الموضوعات خاصة في ظل غياب تناول المعايير التخطيطية في الكتب العربية والأجنبية، التي يتفرد كل واحد منها بتفصيل معيار ما منها، وهذا الكتاب يحتوي ليس فقط على شرح مستفيض للمعايير بل وكذلك شرح كاف لدور العوامل المؤثرة في تطوير الخدمات.

وجاء تعريف المؤلف لهذا العلم الواسع والهام من علوم الجغرافية البشرية على شكل شرح مطول امتد من الصفحة ١٩ وإلى نهاية الصفحة ٢٧ لكي يستوعب الدارس أن جغرافية الخدمات هي العلم الذي يقوم على دراسة وتطوير التحليلات المكانية للمرافق الخدمية بهدف الاستخدام الأمثل لسطح الأرض لأغراض التنمية المستدامة.

ومن النقاط الهامة التي نجح المؤلف في تقديمها مفهوم التباعد في التخطيط وكذلك مفهوم سهولة الوصول وأهمية التخطيط الهرمي للخدمات في المدن والريف وربط ذلك بالنظريات العلمية كنظرية كريستلر. ومن الجدير بالذكر أن من أقوى النقاط العلمية في هذا المرجع انتقال المؤلف من المقياس الإقليمي إلى المقياس المحلي الدقيق لتناول وشرح متطلبات المواقع الخاصة بمختلف مرافق الخدمات الأكثر تأثيرا في حياة السكان وهي الخدمات التعليمية والصحية. ونعتقد في هذه الأثناء بأن موضوع الفصل الثامن جاء في غير مكانه خارجا عن إطار الكتاب، لأنه يتناول مؤشرات تباين الخدمات الصحية في مصر أي أنه موضوع إقليمي خاص بينما يتصف الكتاب بكونه مرجعيا يؤطر لجغرافية خدمات ذات صفات عربية أصيلة.

* الشريعي، أحمد، وخلاف، مرفت، جغرافية الخدمات : الأسس النظرية والدراسات التطبيقية، دار النشر الدولي، الطبعة الأولى، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٢٧٥ صفحة، صدر في فبراير ٢٠١٢ م.

* أ.د. جهاد محمد قربة، عضو هيئة تدريس، جامعة أم القرى، قسم الجغرافيا.

^١ هو تعبير فرنسي يراد به اللغة العلمية الدارجة و"القص واللصق"

عرض لكتاب بقلم دكتور / عبدالعظيم أحمد عبدالعظيم^١الموسوعة الجيومورفولوجية^٢للأستاذ الدكتور / محمد مجدي تراب^٣

تعد الأعمال الموسوعية من أهم المصادر للمتخصصين في العلوم الأكاديمية والإنسانية، وقليلة هي الموسوعات الجغرافية المتخصصة، وأشهرها موسوعة الجغرافى الأمريكى بروكس - تشارلس Brooks, Chorless (1891-1958)، وعنوانها Geographie Universelle . The Koppen Handbook Of Climatology . والموسوعة الجغرافية الفرنسية الشهيرة Geographie Universelle والتي اشترك في تأليفها من الجغرافيين المشهورين: الجغرافى الأمريكى سبنسر-Spencer (1907-1984) والفرنسي دي مارتون - ايمانويل E. De Martonne . (1873 - 1955) والفرنسي جالوا لوسيان Gallois , Lucien (1857 - 1941) . أما الموسوعة البريطانية Encyclopedia Britannica فقد اشترك فيها ثلثة من الجغرافيين من عدة دول منهم: المصري عبد العزيز طريح شرف Sharaf (1918-1996) والياباني هيدسون - دونالد Hudson, Donald G . (1897-1989) والأمريكي برستون - جيمس James. Preston (1899-1986) . ومن الذين انضردوا بموسوعات جغرافية: الجغرافى الفرنسي ريكلوس - اليزيه Reclus . Elisee (1820 - 1905) صاحب موسوعة " Nouvell Geographie universelle " في 19 مجلد (1876 - 1894) .

وتعد الموسوعة الجيومورفولوجية - التي نعرض لها - إضافة جديدة للمكتبة العربية؛ ذلك لأن الأعمال الموسوعية تتطلب جهدا كبيرا ، وإحاطة واسعة بالجديد والقديم في حقل المعرفة الذي كُتبت فيه. وتتميز تلك الموسوعة باعتمادها على العمل الميداني الذي هو جزء من "فن الرحلات" ، حيث ارتحل المؤلف إلى عشرات الجامعات والمعاهد العلمية في العالم ؛ إما محاضرا وإما باحثا، وخلال رحلاته العلمية هذه كان يسطر ملاحظاته عن كثير الظاهرات الجيومورفولوجية النادرة ، والتي شاهدها في ربوع المعمورة، من اسكتلندا في أقصى الشمال، إلى أراضي السودان عند خط الاستواء، ومن سواحل أيبيريا والمغرب غرباً، إلى مضيق ملقا وسهول تايلاند وسواحل ماليزيا وسنغافورة شرقاً.

ومن ثم تشتمل الموسوعة على (547) صورة فوتوغرافية قام الباحث بالتقاطها، إضافة إلى عدة مرئيات فضائية و(141) شكلا جيومورفولوجياً لتوضيح المقصد العلمي ، فضلاً عن ثلاثة كشافات هجائية للمصطلحات الجيومورفولوجية أولها باللغة العربية وثانيها باللغة الإنجليزية وثالثها يشمل المصطلحات الجيومورفولوجية على أساس التصنيف الموضوعي، وقد حصر المؤلف تلك المصطلحات والتي تجاوزت (800) مصطلح جيومورفولوجي، وأدرج نماذج من التطبيقات الميدانية بلغ عددها (35) تطبيقاً ميدانياً.

^١ أستاذ مساعد بقسم الجغرافيا ، جامعة دمنهور

^٢ أصدرتها الجمعية المصرية للتغيرات البيئية ، 2011

^٣ أستاذ بقسم الجغرافيا، جامعة دمنهور